

ملف الاضطرابات الجامعة (23)

الواحدية والذات والجسد، ووظائف الأنا

"ماهية الشخص في اليتكون"

(منظور إكلينيكي بدلاً من "وظائف الذات")

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD16116.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2016/01/16
السنة التاسعة - العدد: 3060



مقدمة

أنهيت نشرة الأحد الماضي بتساؤل حضرني عن مدى مشروعية أخذ ما يسمى "وظائف الذات" - مهما اجتهدنا في قياسها - كمؤشر أساسي لتوصيف الصحة النفسية أو الكفاءة الشخصية في الأسوياء، وكذلك الخلل الوظيفي/المرضى، حتى وصلت إلى ما يشير إلى أنها بالصورة المتاحة قد لا تكون صالحة تماماً لتقافتنا.

وقد أوصيت في نفس النشرة بالرجوع إلى النشرات السابقة عن "الصحة النفسية" في "حركتها الإيقاعية"، وخاصة نشرة (الصحة النفسية والتطور الفردي وعصر المعلومات) بتاريخ <http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD16116.pdf>.

وحيث أن الرجوع إلى كل هذه المراجع حتى مع ذكر الروابط هو أمر متعذر تماماً، فسوف أحاول أن أخلص إلى ما خطر لي مع إشارات محدودة إلى ما سبق تناوله بالروابط المناسبة.

وقد حضرتتي بصفة مبدئية تساؤلات متتابعة اضطررت أن أضع لها إجابات محتملة على الوجه التالي:

(1) ما الذي يلزمنا بتقديم "وظائف الذات" "الظاهرة" غالباً، بوجه خاص وتفضيلها عن سائر الذات التي يتركب منها الكائن البشر، وهو يتحرك منها وبها إلى المآب؟
الإجابة: ربما لأنها أسهل تقييماً، وأيضاً لأنها ألزم لمواصله الفعل الحياتي العادي، بما في ذلك التواصل فيما بيننا.

(2) طيب، وما الذي يلزم الطبيب النفسي (والمعالج) بالتوقف عند هذا المستوى بوجه خاص؟ حين يصله أن كفاءة هذه الوظائف هكذا هي غاية المراد؟

الإجابة: ومن قال أنه ملزم بالتوقف، إنه إذا وصل إلى تحقيق كفاءة هذه الوظائف لمريض ما، وبالتالي ما يعتبره برّ السلامة، فعلى العميل أو المريض أو المستشار أن يواصل بنفسه مساره بقدر ما يسمح له محيطه ومجتمعه، وأيضاً بقدر ما تتاح له الفرص لإطلاق استمرار مسيرة زخم النمو التلقائي.

(3) ألا يوجد بديل اقرب إلى ثقافتنا وأقدر على الإحاطة بأبعاد أعمق تصلح لدفع الإنسان (مريضاً أو غير ذلك) إلى الاستمرار في إتاحة الفرص لوظائف الذات الأخرى واحدة واحدة ثم معاً لمواصله حركية "اليتكون".

الإجابة: ربما توجد لو حاولنا وما نحن نحاول واحدة واحدة،

لكن ثمة ملاحظة بادئة على العنوان: ذلك أنني فضلت ألا أواصل مناقشتي لهذه القضية الجوهرية

ما الذي يلزمنا بتقديم "وظائف الذات" "الظاهرة" غالباً، بوجه خاص وتفضيلها عن سائر الذات التي يتركب منها الكائن البشر، وهو يتحرك منها وبها إلى المآب؟

على العميل أو المريض أو المستشار أن يواصل بنفسه مساره بقدر ما يسمح له محيطه ومجتمعه، وأيضاً بقدر ما تتاح له الفرص لإطلاق استمرار مسيرة زخم النمو التلقائي.

ألا يوجد بديل اقرب إلى ثقافتنا وأقدر على الإحاطة بأبعاد أعمق تصلح لدفع الإنسان (مريضاً أو غير ذلك) إلى الاستمرار في إتاحة الفرص لوظائف الذات الأخرى واحدة واحدة ثم معاً لمواصله حركية "اليتكون".

تحت نفس العنوان (وظائف الذات) وهو الذى بدأت بنقده هنا الآن وقبل ذلك، فاخترت عنوانا لسلسلة النقد هذه هو الأقرب لما أريد توصيله وهو هذا العنوان الغريب "ماهية الشخص فى اليكُون"، حتى أؤكد من البداية على "التعدد" و"الحركية" معا، وأن الإنسان ليكون إنسانا فإنه إنما يوظف كل مقومات وجوده وآليات بقائه فى حركية نابضة إلى ما يمكن أن يكونه، وهو بذلك لا يغفل أى مستوى ولا نهمل أى حركة لحساب ما ظهر منه، أو ما أمكن قياسه، على حساب الباقي، أقر أنني لست مرتاحا لهذا العنوان تماما وأنتى مستعد لتلقى أى اقتراح بديل خاصة بعد أن نقرأ النقد وناقشته، وهو نقد ذاتى أساسا، حيث أنني كنت المشرف على هذه الرسالة التى اقتطفت منها مادة هذه النشرة وما قبلها رسالة أ.د. رفعت محفوظ، وقد اشتركت فى إعداد الطريقة طبعاً بصفتى مشرفاً عليها.

لا أظن أنني سوف أتناول كل الأثنى عشر وظيفة حيث أن أغلبها قد ورد فى الفصول السابقة تحت عناوين مختلفة، وسوف اكتفى بوظيفة "اختبار الواقع" [1] وهى الوظيفة الأولى، مع إشارة محدودة جدا للوظيفة الثالثة: "الاحساس بواقع العالم والذات" [2] لاشتراكهما فى كلمة "الواقع".

ثم أنتقل إلى ما يتعلق بالإبداع الوظيفة الحادية عشر، والثانية عشر وهما الوظيفة "التوليفية التكاملية" [3] ووظيفة "النكوص التكيفى فى خدمة الذات" [4]

والآن نبدأ بالوظيفة الأولى: اختبار الواقع Reality Testing:

وتشتمل هذه الوظيفة - فى تعريفها الأساسى - على ما يلى:

(أ) التفرقة بين المثيرات الخارجية والمثيرات الداخلية؛ أى التفرقة بين ما يصدر من خارج الشخص وبين ما ينبع من داخله.

(ب) دقة إدراك وتفسير المثيرات التى تأتى من العالم الخارجى.

(ج) دقة إدراك وتأويل وتفسير أحداث الداخل وهى تشمل الدراية او المدى الذى يتوصل إليه

الشخص للدراية بقدر الدقة أو التشوية الذى لحق بالواقع الداخلى [5]

وبعد

رجعت أولاً إلى أصل رسالة أ.د. رفعت محفوظ الجزء النظرى أولاً وإذا بى أجد الباحث قد استشهد من التراث بعدد وافر من المراجعات والآراء عن وظائف الذات فيما يتعلق بهذه الوظيفة بوجه خاص فقررت أن أقتطف منها بليجاز ما اعتبره نموذجاً لدقته ومهارته وأمانته، وأيضاً ما قد يغينى عن الإشارة لمثل ذلك فى الوظائف الأخرى التى سوف أتناولها.

وإليك مقتطفات موجزة من مراجعة التراث بالنسبة لهذه الوظيفة:

(1) بدأ الباحث بفرويد حيث أورد نقلاً عن Ballak (1973, P. 82) [6] رأيه فيما هو اختبار الذات وهو:

(أ) القدرة على التفرقة بين الأفكار والمدركات

(ب) القدرة على تمييز ما إذا كانت الفكرة هى نابعة من أثر للذاكرة أو من الواقع: الإدراك

الخارجى: دقة الإدراك.

(ج) وبرغم أنه عزا العمليات الثانوية مثل الانتباه والذاكرة والحكم على الأمور إلى أنها يمكن أن

تتضمن فى هذه الوظيفة، إلا أنه عاد فأرجع هذه الوظائف إلى مهمة الأنا المثالى Ego Ideal سنة

1921 ثم عاد وجعلها ضمن وظائف الذات: سنة 1923.

(2) لخص Weiss (1950 a): [7] فايس هذه الوظيفة فى:

(أ) الإدراك المباشر

(ب) الإدراك غير المباشر (الوارد من الوالدين والمدرسة والكتب .. الخ)

(ج) التفكير: الاستنتاجات المنطقية من الإدراك المباشر والذاكرة

(د) التجريب لإثبات أو توضيح مدى تطابق المعطيات من حالة الواقعية.

(3) اعتبر Schafer (1959) [8] أن هذه الوظيفة تشمل درجات متبانية من عمليات

أن الإنسان ليكون إنساناً فإنه إنما يوظف كل مقومات وجوده وآليات بقائه فى حركية نابضة إلى ما يمكن أن يكونه، وهو بذلك لا يغفل أى مستوى ولا نهمل أى حركة لحساب ما ظهر منه، أو ما أمكن قياسه، على حساب الباقي

اختبار الواقع يتمثل فى التفرقة بين المثيرات الخارجية والمثيرات الداخلية؛ أى التفرقة بين ما يصدر من خارج الشخص وبين ما ينبع من داخله.

اختبار الواقع يتمثل فى دقة إدراك وتفسير المثيرات التى تأتى من العالم الخارجى

اختبار الواقع يتمثل فى دقة إدراك وتأويل وتفسير أحداث الداخل وهى تشمل الدراية او المدى الذى يتوصل إليه الشخص للدراية بقدر الدقة أو التشوية الذى لحق بالواقع الداخلى

الإدراك، والاحساس والتذكر، والتوقع، وصياغة المفاهيم والتعليل وجذب الانتباه والتركيز وتوجيه وتركيز الانتباه إلى أحداث الداخل وأحداث الخارج.

(4) تناول **Arlow (1969): [9]** إشكالية إدراك الواقع باعتبارها جماع عمليتين هما إدراك الداخل وإدراك الخارج ثم أضاف عاملا ثالثا، هو القدرة على تكامل هذين البعدين بالربط وباحتواء التذبذب التنافسي بين هاتين العمليتين من الإدراك.

(5) وصف **Jacobson (1973) [10]** جوانب متعددة لوظائف الذات:

(أ) إدراك وتمييز ما هو ذات عن ما هو واقع، ثم ما هو داخل مما هو خارج.

(ب) إدراك التفرقة بين أحوال النفس (الذات) المختلفة.

(ج) إدراك الخبرات الوجدانية الداخلية.

(د) ثم القدرة على التمييز بين الحاضر والماضي

وقد عزا كل ذلك إلى عوامل جينية جاهزة بالإضافة إلى النشاطات الإدراكية في خبرات "الانفصال للتكامل" **[11]**.

(6) ربط **Federn (1953): [12]** وظائف الذات بالتدريب على التمييز بين الداخل والخارج، الأمر الذى يظهر حين تشحن حدود الذات وتندعم وتتحدد، وبالتالي فقد ربط بين هذه الوظيفة وبين تماسك حدود الذات.

(7) أكد **Hartmann (1953) [13]** أن هذه الوظيفة تشمل إدراك الواقع الداخلى بقدر ما تشمل إدراك الواقع الخارجى وبالتالي فإن اختبار الواقع يشمل اختبار الواقعين الداخلى والخارجى، بما يرتبط بإيجاز بالبصيرة والدراية بالحالات الداخلة

(8) **White (1963): [14]** وضع الفعل فى موقع مركزى لهذه الوظيفة، بمعنى أن المعرفة بالمحيط (البيئة) هى نتيجة الفعل، مؤكدا أن الدراية تتأثر بما هو "فعل" الذى هو مصدر أساسى للمعرفة.

وبعد

بالله عليكم، هل بعد كل هذا الذى أورده الباحث، وعزاه إلى أصحابه، يمكن لأى فاحص إكلينيكي أن يزعم بقدرته على تقييم هذه الوظيفة ولو بأى قدر من التقريب وخاصة إذا استعمل فى المقابلة أسئلة محددة، حتى لو اعتمد فى هذه المقابلة على مُقيمين إكلينكيين متعددين؟ على أن الباحث (أ.د. رفعت) احتاط لذلك مما يدل على شعوره بالاضطرار التزاما بالمنهج التقليدى، فقد أورد قبل طرح أسئلة المقابلة ملحوظة تقول:

"سلوك المريض أثناء المقابلة قد يكشف عن مدى كفاءة بعض عناصر هذه الوظيفة بمعنى إلا يكتفى المقيمون بالإجابات اللفظية".

كما تحفظ الباحث أكثر حين أضاف أن ما جرى هو من نوع "المقابلة شبه المقتنة" **[15]**

(أ) أن هذه المقابلة هى من نوع المقابلة المحدودة جزئيا

(ب) أنه ينبغي أن يؤخذ فى الاعتبار الأسئلة المدرجة للوظائف الأخرى.

(ج) أنه يمكن أن "تضاف معلومات هامة ومفيدة فى التقويم بجانب هذه الأسئلة (يحصل عليها أو يعرفها بعض المقيمين من مصادر خارج هذه المقابلة)

(د) وأخيرا أن "سلوك المريض أثناء المقابلة (وليس فقط ألفاظه) **[16]** إنما يكشف عن كفاءة بعض عناصر هذه الوظيفة" (أو تلك).

وهذه هى الأسئلة التى أعترض عليها - الآن - كل هذا الاعتراض (مع أننى مشترك فى وصفها) **[17]** حيث بعد قراءة ما أورده الباحث من آراء ثقات العلماء والباحثين من التراث شعرت باستحالة الإمام ببعضه بطرح هذه الأسئلة التى أثبتنا هنا كما يلي:

(أ) هل بتلقى صعوبة فى أنك تقرر أن حاجة أو حادث أو شئ حدث فعلا واللا انه مجرد حلم أو

اختبار الذات هو القدرة على التفرقة بين الأفكار والمدرجات (فرويد)

اختبار الذات هو القدرة على تمييز ما إذا كانت الفكرة هى نابعة من أثر للذاكرة أو من الواقع: الإدراك الخارجى: دقة الإدراك (فرويد)

اختبار الذات هو برغم أن فرويد عزا العمليات الثانوية مثل الانتباه والذاكرة والحكم على الأمور إلى أنها يمكن أن تتضمن هى هذه الوظيفة، إلا أنه عاد فأرجع هذه الوظائف إلى ممة الأنا المثالى Ego Ideal سنة 1921 ثم عاد وجعلها ضمن وظائف الذات: سنة 1923.

هل بتلقى صعوبة فى أنك تقرر أن حاجة أو حادث أو شئ حدث فعلا واللا انه مجرد حلم أو خيال؟ طبع ازمى؟

خيال؟ طب ازاي؟

(ب) هل احساسك بالزمان أو المكان أو الناس اللي حواليك بيتلخبط - قد ايه؟ وازاي؟

(ج) هل بتلخبط بين الاشياء اللي براك - يعنى بتلخبط عليك وتتشوش فى بعض؟ ازاي؟ هل فيه

حد نبهك على كده؟ ممكن تشرح لنا ازاي؟

(د) هل فيه حد قالك انك تحب تشوف اللي انت عايز تشوفه مش اللي موجود بالفعل؟ يا ترى انت

لاحظت كده على نفسك؟ امتى؟ ازاي؟

(هـ) هل بتسمع أصوات أو تشوف حاجات مع ان اللي حواليك مش سامعيتها و شافيتها؟ يا ترى

عرفت الحكاية دى لوحك واللاحد قالك (بيقولك) عليها؟

(و) هل انت مقتنع بحاجة على أنها حقيقية مع ان اللي حواليك مش موافقك على كده؟ زى ايه

مثلا؟

(ز) ما هي علاقتك بالجرايد اليومية؟ (بعد فترة) طب والعمل؟ (بعد فترة) طب والفلس؟

(ح) هل بتدقق النظر فى اللي بيحصل جوك - زى العواطف والافكار؟ بتنتهى لايه فى

الحاجات اللي زى كده؟

(ط) تفتكر انت عيان بايه؟ طب انت شايف ايه بالنسبة للعلاج؟

علما بأن الباحث قد نبه (والمشرف) إلى جعل الأسئلة المطروحة مجرد مثيرات للمقيمين

الإكلينكيين للوصول إلى قدر من التقييم الكلى على مقياس من واحد إلى عشرة.

وبعد

بصراحة أنتظر من يتفضل بالتطوع بمحاولة الإجابة على هذه الأسئلة أن يردف رأيه بإخطارى

عن مدى تغطيتها بدرجة كافية لما قدمنا من تنظير وآراء، وإن كانت إجابته عليها تدل على علاقتنا

(الموضوعية) بالذات وبالواقع، أم غير ذلك

هامش عن الوظيفة الثالثة:

الوظيفة الثالثة باسم: "الاحساس بواقع العالم والذات" ([18]) توقفت من جديد متسائلا لماذا فصل

بلاك اختبار الواقع عن الاحساس بواقع العالم والذات؟

فكان لزاما أن اشير فى الهامش إلى حيرتى وأنا أحاول التمييز، لكن الباحث أورد آراء طيبة أشير

إلى جملتها بإيجاز شديد حيث أننى لن أتناول هذه الوظيفة بالتفصيل.

عموما فقد وصلنى أنه بالنسبة لهذه الوظيفة الثالثة فقد كان التأكيد فيها أكثر على التميز بين ما هو

داخلى وخارجى، وبين ما هو واقع متعين فى العالم أو فى الذات، وما هو واقع مصنوع مسقط

مختلط بالداخل... الخ

كما أن التأكيد على هذه الوظيفة الثالثة من مختلف ثقافات العلماء: أدى النهاية إلى ربط هذه الوظيفة

أكثر بما هو يسمى "تحقيق الذات" و"تأكيد الذات" و"تحديد الذات" الأمر الذى نحاول التخفيف من

المبالغة فى أهميته كهدف للنمو وعلامة على النضج،

وذلك فى محاولة أن يحل محله لمفهوم الذى جاء فى العنوان "الشخص فى اليَتَكون".

.....

وغداً نكمل ما نراه فى ثقافتنا مما قد يعيننا فى ممارستنا وغير ذلك

*** **

هل احساسك بالزمان أو
المكان أو الناس اللي
حوالك بيتلخبط - قد ايه؟
وازاي؟

هل فيه حد قالك انك تحب
تشوفه اللي انت عايز تشوفه
مش اللي موجود بالفعل؟ يا
ترى انت لاحظت كده على
نفسك؟ امتى؟ ازاي؟

هل انت مقتنع بحاجة على
أنها حقيقية مع ان اللي
حوالك مش موافقك على
كده؟ زى ايه مثلا؟



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل